

المتنبى عند سيف الدولة

بقلم على النجدي ناصف

مفتش المعارف بملوى

اتصل المتنبى بسيف الدولة سنة ٢٢٧، ورحل عنه مغاضباً سنة ٢٤٦، فهو قد أقام عنده نحو عشر سنين. وتعد هذه المدة على رغم ما شابهها من الحسد والكيد - أهنأ أيام الشاعر، وأحفلها بالخير والاقبال، وأغناها بأكرم شعره وأبقاه على الأيام.

ففي هذه المدة فارقت الحاجة والبؤس إلى غير رجعة، واختصه بالعطف وحسن الرعاية أمير كريم، فانقطع إليه، واستغنى بمدحه عن مدح غيره، حتى أضيف كلاهما إلى صاحبه إضافة الاختصاص والاستثارة، فقليل: سيف الدولة ممدوح المتنبى، والمتنبى شاعر سيف الدولة. (١)

وكان للشاعر من سخاء الأمير وشجاعته وكثرة حروبه وسائر مزاياه حافز إلى قول الشعر، وعون أيما عون على الاجادة والابداع، فبعد صيته، وأقبلت الدنيا عليه، فأصاب من النعمة والثراء حظاً غير قليل. أما الحسد والكيد فقد تعقباه هنا وهناك، حتى كانت مصيبتيه منهنما قسمة بين أهم مراحل حياته. وإنما يقع التفاضل بين حالته بحسب ما وراء الحسد والكيد من أسباب السعادة والشقاء.

ولا شك أن المتنبى مدين في هذه الخطوة المباركة لأبي العشائر بن حمدان. فهو قد اغتنم قدوم سيف الدولة على أنطاكية، فقدم إليه المتنبى، وأثنى عليه، وعرفه منزله من الشعر (٢). نعم لقد كان متوقفاً أن يتصل المتنبى بسيف

(١) أبو الطيب المتنبى الكوفي: ٩٣

(٢) الصبح المتنبى: ١: ٤٦

للدولة ؛ وكان كذلك ممكنا أن يتبوأ عنده المنزلة الممتازة التي كانت له ، بغير وساطة
 أبي العشائر ، فالمتنبى كان شاعرا عبقريا ، وأديبا جليلا ، بدأ نجمه يومئذ في
 الصعود ، وأخذ صيته يسير في البلاد ، وسيف الدولة كان نجمة الشعراء والأدباء ،
 بل مقصد كل ذى إحسان في علم أوفى ، لكن أبا العشائر على الأقل اختصر له
 الوقت ، وأمسك عليه الجهد ، وأخذ ينده اجتذابا إلى الموضع الذى يرشحه له
 نبوغه وفضله .

وعرف المتنبى لأبي العشائر هذا الصنيع ، وقدره حق قدره ، فكان يحبه ،
 ويحفظ له أخلص الود وأصدق ، حتى فى أهول المواقف ، وأشدّها إثارة للسخط
 والغضب ، وأدعاها إلى القطيعة وفصم أوثق الروابط .
 روى العكبرى أن جماعة ترصدوا المتنبى ذات ليلة وهموا بقتله على باب
 سيف الدولة ، بعد قصيدته العتائية ، التي مطلعها :

واخر قلباه بمن قلبه شيم ومن بجسمى وحالى عنده سقم
 ولما أعياهم أمره ، واستئثسوا من الفتك به ، انتسبوا إلى أبي العشائر وقالوا :
 نحن غلماناه . فقال أبو الطيب :

ومنتسب عندى إلى من أحبه وللبل حولى من يديه حفيف
 فهيج من شوقى ، وما من مذلة حنت ، ولكن الكريم ألوف
 وكل وداد لا يدوم على الأذى دوام ودادى للحسين ، ضعيف
 فان يكن الفعل الذى ساء واحدا فأفعاله اللأى سررن ألوف
 ونفسى له ، نفسى الغداء لنفسه ولكن بعض المالكين عتيف (١)

ويظهر أن المتنبى خشى أن يكون مثله فى نظر سيف الدولة كمثل سائر الشعراء
 الذين يترا كضون إليه ، ويتدافعون على يابه فى غير تصون ولا احتشام ، على
 حين أن ليس فيهم من يجاريه فى مبدانه ، أو ينازعه السبق إلى غاية الاحسان

لذلك تقدم إليه قبل مدحه يشترط ألا ينشده قائما ، وألا يكلف تقيل الأرض بين يديه (١)

ورأى سيف الدولة أنه تجاه اشتراط غريب ، تمليه شخصية غريبة ، لا نعلم أن له عهدا بمثلها . أو قريب منها بين الشعراء ، شخصية واثقة معتدة . بل طامحة مدلة ، تبغى الكرامة في أسلوب يرفع صاحبها من بعض الوجوه إلى مراتب الأنداد والنزراء . ثم نظر من ناحية أخرى ، فإذا هذه الشخصية لا تبغى الاعتداء على حق مشروع ، ولا مجاوزة حد معقول ، وإذا الذي يقدم صاحبها ، ويثني عليه أبو العشائر ، وهو ابن عمه ، ونائبه في بعض ملكه ، وأديب يعالج الشعر . ويستطيع المفاضلة بين الشعراء عن علم وتجربة ، إذا فلا عليه أن يقبل الشرطين بل لا مفر له من قبولهما ، ولوريثا يستجلي حقيقة هذا الشاعر ، ويهيئ له فرصة يحاول فيها أن يثبت جدارته بما يشترط ، واستحقاقه للتقدم والامتياز .

قبل سيف الدولة شرطي المتنبى ، ونزل على أحكامهما ، ولكن في ترقب وانتظار . ولذا قالوا : إنه حين سمع شعره حكم له بالفضل ، وعدماطلبه استحقاقا (٢) . وخلا المتنبى إلى نفسه ينظم أولى قصائده في سيف الدولة ، وقد شغل الناس به ، واتجهت أنظارهم إليه ، يرتقبون ما يطلع به عليهم في شوق واهتمام . ولم يكن خافيا على أحد أن حظوته الموعودة كانت إذ ذاك رهنا بيا كورة شعره في الأمير ، فإما نجاح يبلغه مأمله ، ويرفع رأسه ، ويكتب خصمه ، وإما عثار يذهب بالرغائب ويشمت الحساد ، ويسلم إلى مذمة المنافسين . مقام صعب ولا شك ، سعى إليه

(١) زاد في خزنة الأدب للبغدادى : ٢ : ٣٠٦ . وأن يمدحه على الوحدة ، وقد أغفلنا إثباته بموضعه ، لأن الروايات مستفيضة بأن المتنبى كان ينشده في غير الوحدة . راجع طبقات الأدباء : ٣٧٢ ، ٣٧٣ والبيان : ٢ : ٢٣٠ ، وأبو الطيب المتنبى وأخباره .

١٣ ، والصبح المتنبى : ١ : ٦٦ - ٧٢

(٢) خزنة الأدب : ٢ : ٣٠٦

المتنبى طوعا واختيارا، تحذوه نفس طموح. وتؤازره مواهب صادقة، فمضى في ثقة واطمئنان وثبات.

وأحسب أن لو أخذته رهية الموقف، وبدت في هذه القصيدة دلائل التهميب والحذر لكان جديرا أن ينفسح له مجال العذر. لكنك تقرأ القصيدة، ثم تقرؤها فلا تلح فيها سمة تدل عليها. ولا ترى لها لونا من تلك الصبغة تخالف به سائر قصائده في سيف الدولة. ودونك مطلعها، فاستمع له، ثم حدثني عما ينم عليه: وفاؤكما كالربيع، أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشجاء ساجمه

ألا تراه معى قد جرى في البيت على طبعه. وأرسلة غير متعمل ولا محتفل. فخرج كما تهبأ له: شطراه متداخلان، ومعناه غامض، ولو شاء لكان له معدى عنه، وفي سواه بدل منه، ثم انظر إليه في هذه القصيدة كيف أبى إلا أن يناجز شعراء سيف الدولة، ويرميهم بالقصور عن وصفه والعي في مدحه حيث يقول: فأبصرت بدرا لم ير البدر مثله وخاطبت بحرا لا يرى العبر عاتمه غضبت له لما رأيت صفاته بلا واصف، والشعر تهذى طامطمه

واستمع له بعد هذا وذلك يرد على ابن خالويه، وقد راجعه كلمة في مطلع هذه القصيدة: فقد روى العكبري أن ابن خالويه كان حاضرا لإنشائها، فقال حين سمع المطلع: يا أبا الطيب، تقول: أشجاء - وهو شجاء - يظنه فعلا، فقال له: اسكت؛ ليس هذا من علمك، إنما هو اسم لا فعل (١).

أرأيت إلى أى حد كان المتنبى قويا صارما، بل غليظا جافيا في خطاب رجل له خطر جليل، ومثزلة شامية عند سيف الدولة؟

وبعد، فقد كانت صلة الشاعر بأميره وثيقة محكمة، تقوم على أسس من الصداقة، وحسن التقدير، واطراح الكلفة، فكان سيف الدولة يؤثره على شعرائه، (٢) ويسير بمن يحفظ شعره (٣) وكانت هباته وعطاياه تتوالى عليه أنواعا

(١) شرح التبيان ٢: ١٣٠ بتصرف

(٢) الصبح المنبى ١: ٥٨

(٣) التبيان ٢: ٢٩

منوعة : بين ثياب وأموال ، وإمام وعبيد ، وجياد وأسلحة ، وزاد ؛ فأقطعه قرية من قرى حلب تسمى سُبُعين^(١) ، وضبعة بالمعرة تسمى صفا^(٢) .

روى الثعالبي : أن المتنبي لما أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها :

أجاب دمعى ، وما الداعى سوى طلل دعا ، فلباه قبل الركب والابل
ناولته نسختها وخرج ، فنظر فيها سيف الدولة ، فلما انتهى إلى قوله :

يأيها المحسن المشكور من جهتي والشكر من قبل الاحسان لا قبلي

أقل ، أنل ، إقطع ، احمل ، عل ، سل ، أعد زد ، هش ، بش ، تفضل ، أدن ، سر ، صل

وقع تحت (أقل) : قد أقلناك ، وتحت (أنل) : يحمل إليه من الدراهم كذا ،

وتحت (اقطع) : قد أقطعناك الضيعة الفلانية ، ضيعة بيان حلب ، وتحت (احمل) :

يقاد إليه الفرس الفلاني ، وتحت (عل) : قد فعلنا ، وتحت (سل) : قد فعلنا فاسل ،

وتحت (أعد) : قد أعدناك إلى حالك من حسن رأينا ، وتحت (زد) : يزداد كذا ،

وتحت (تفضل) : قد فعلنا ، وتحت (أدن) : قد أدنيناك ، وتحت (سر) : قد

سررناك . قال ابن جنى : فبلغني عن المتنبي أنه قال : إنما أردت سر من التورية ،

فأنمر له بجمالية ، وتحت (صل) : قد فعلنا . وكان بحضرة سيف الدولة شيخ

ظريف ، يقال له المعقل ، حسد المتنبي على ما أعطاه سيف الدولة ، فقال : يامولاي ،

هلا قلت له لما قال : هش بش : هه هه هه (يحكي الضحك) فضحك سيف الدولة

وقال له : ولك أيضاً ماتحب . وأمر له بصلة^(٣) .

وأهدى إليه سيف الدولة ثياب ديباج ، ورحا ، وفرسا . ومهرآ . فقال له :

ثياب كريم ما يصون حسانها إذا نشرت كان الهبات صوانها

تربنا صناع الروم فينا ملوكها وتجلو علينا نقشها وقيانها

ولم يكفها تصويرها الخيل وحدها فصورت الأشياء إلا زمانها

وما ادخرتها قدرة في مصور سوى أنها ما أنطقت حيوانها

(١) القاموس : مادة سبع

(٢) معجم البلدان

(٣) أبو الطيب المتنبي وأخباره : ١٣ ، والتبيان : ٢ : ٧٢ .

وسرام يستغوى الفوارس قدما
وَيَذْكُرُهَا بِكَرَاتِهَا وَطَعَانِهَا
ردينية نمت ، فكاد نباتها
يَرْكَبُ فِيهَا زَجْهًا وَسَنَانِهَا
وَأُمُّ عَتِيقٍ خَالَهُ دُونَ عَمِّهِ
رَأَى خَلْقَهَا مِنْ أَعْجَبَتِهِ ، فَعَانِهَا
إِذَا سَايَرْتَهُ بَايَتَهُ وَبَانِهَا
وَشَاتَتْهُ فِي عَيْنِ الْبَصِيرِ وَزَانِهَا
وَقَالَ يَمْدَحُهُ وَيُودِعُهُ إِلَى إِقْطَاعِهِ :

أَيَا رَامِيَا يَصُمِي فُؤَادَ مَرَامِهِ
تَرَبَّى عِدَادَهُ رِيَشَهَا لِسَهَامِهِ
أَسِيرٌ إِلَى إِقْطَاعِهِ ، فِي ثِيَابِهِ ،
عَلَى طَرَفِهِ ، مِنْ دَارِهِ ، بِحَسَامِهِ
وَمَا مَطَرُ تَنِيهِ مِنَ الْبَيْضِ وَالْقَنَّا
وَرُومُ الْعِيدَى هَاطَلَاتُ غَمَامِهِ
قَيَّ يَهَبُ الْأَقَايِمَ بِالْمَالِ وَالْقُرَى
وَمِنْ فِيهِ مِنْ فِرْسَانِهِ وَكِرَامِهِ
وَيَجْعَلُ مَا خَوَّلَتْهُ مِنْ نَوَالِهِ
جَزَاءً لِمَا خَوَّلَتْهُ مِنْ كَلَامِهِ
وَقَالَ يَصِفُ مَنَزَلَتَهُ وَحَظْوَتَهُ عِنْدَهُ :

بَلَغْتَ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورَ رَتَبَةً
أَثَرْتُ بِهَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ
إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلُحْيَةٍ أَحْمَقٍ
أَرَاهُ غِبَارِي ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقُّ
وَمَا كَدُ الْحَسَادِ شَيْئًا قَصْدَتَهُ
وَلَكِنَّهُ مِنْ يَزْحَمِ الْبَحْرُ يَفْرَقُ
فَلِذَلِكَ لَأَنْ عَيْشَهُ ، وَكَثُرَ ذِكْرُ النِّعْمَةِ وَالثَّرَاءِ فِي شِعْرِهِ . كَقَوْلِهِ :

أَنَا مِنْكَ بَيْنَ فَضَائِلٍ وَمَكَارِمٍ
وَمِنْ ارْتِيَا حُكِّ فِي غَمَامٍ دَائِمٍ
وَمِنْ احْتِقَارِكَ كُلِّ مَا تَحْبُوبُهُ
فِيمَا أَلَا حَظَّهُ ، بَعْنَى حَالِمٍ
وَقَوْلِهِ :

نَادَيْتُ بِمَجْدِكَ فِي شِعْرِي وَقَدْ صَدَرَا
يَا غَيْرَ مُتَّحِلٍ فِي غَيْرِ مُتَّحِلٍ
بِالشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَقْوَامَ نَجْبِهِمْ
فَطَالَعَاكُمْ ، وَكُونَا أَبْلَغَ الرُّسُلِ
وَعَرَفَاهُمْ بِأَنِّي فِي مَكَارِمِهِ
أَقْلَبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْخَوْلِ
وَقَوْلِهِ :

تَرَكْتُ السَّرِيَّ خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ
وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنِعْمِكَ عَسْجَدَا
وَقِيدْتُ نَفْسِي فِي هَوَاكَ مَحَبَّةً
وَمِنْ وَجَدِ الْإِحْسَانِ قِيدًا تَقِيدَا

ذلك كان شأن الأمير ، أما الشاعر ففي غير موطن من شعره تصريح بحبه إياه وإخلاصه له ، كقوله ، وقد أراد الانصراف من عنده ليلا :

يقاتلني عليك الليل جدا ومنصرفي له أمضى السلاح
لأنى - كلما فارقت طرفي - بعيد بين جفني والصباح
وقوله :

أحبك يا شمس الزمان وبدره وإن لامني فيك السها والفراق
وذاك لأن الفضل عندك باهر وليس لأن العيش عندك بارد
فان قليل الحب بالعقل صالح وإن كثير الحب بالجهل فاسد
وقوله :

إذا كان مدح ، فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً ميم ؟
لحب ابن عبد الله أولى ؛ فإنه به يبدأ الذكر الجليل ويختم .
وقد تفوق المتنبي في مدح سيف الدولة ماشاء ، وشاء له الحب الصادق والطبع
الكريم ، فخرج شعره فيه أبلغ أشعاره ، وأكثرها تداولاً ، وأحفلها بأسباب
الخلود .

ومن دلائل التسهيل بينهما ، واطراح التكلفة والتزمت في صداقتهما - هذه
الدعابة البادية في قوله :

تعجبت المدام وقد حساها فلم يسكر ، وجاد فما أفاقا
أقام الشعر ينتظر العطايا فلما فاقت الأمطاراً فاقا
وزنا قيمة الدهماء منه ووفينا القيان به الصداقا
وحاشا لارتياحك أن يبارى وللكرم الذي لك أن يباقي
ولكننا نداعب منك قرماً تراجع القروم له حقاقا

وتلك الفكاهة المتمثلة في قوله على لسان سيف الدولة ، يخاطب رجلاً أنفذه
إليه أبياناً يشكو فيها الفقر ، ويزعم أنه رآها في النوم :

قد سمعنا ما قلت في الأحلام وأنتناك بدرة في المنام
وانتبهنا كما انتبهت بلا شيء ، وكان النوال قدر الكلام

كنت فيما كتبه نائم العيش، فهل كنت نائم الأقدام؟
أيها المشتكى إذا رقد الإعدام لا رقدة مع الإعدام
وكان سيف الدولة ينقد شعره، فيتقبل المتنبى نقده، أو يتلطف في الرد عليه
مع فرط ثقته بنفسه، وشدة إيمانه واستكباره، وسيف الدولة في الحالين راض
عنه، ومعجب به، وربما كان سروره في الأخيرة أعظم وإعجابه أشد. حدث
العكبرى أن المتنبى قال: «مارد على أحد شيئاً فقبلته، إلا سيف الدولة، فاني أنشدته:
«ومن جيف القتلى، فقال لي: مه، قل: «من جثث القتلى، فقبلت، وقلت كما
قال لي (١)».

وروى أيضاً أن المتنبى لما أنشد البيتين:

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى، وهو نائم
تمر بك الأبطال كللى هزيمة ووجهك وضاح، وثغرك باسم
أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزى البيتين على صدريهما، وقال له: ينبغي
أن تطبق عجز الأول على الثانى، وعجز الثانى على الأول، ثم قال له: وأنت في
هذا مثل امرئ القيس في قوله:

كلاني لم أركب جواداً للذة ولم أبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروى، ولم أقل لخلي: كرى كرة بعد إجحاف

قال: ووجه الكلام في البيتين على ما قال أهل العلم بالشعر، أن يكون عجز
الأول على الثانى والثانى على الأول، ليستقيم الكلام، فيكون ركوب الخيل مع
الأمر بالخيال للكر، وسبب الخمر مع تبطن الكاعب. فقال أبو الطيب: أدام الله
عز مولانا، إن صح أن الذى استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر،
فقد أخطأ امرؤ القيس، وأخطأت أنا، ومولاي يعرف أن البزاز لا يعرف الثوب
معرفة الحائك، لأن البزاز يعرف جملة، والحائك يعرف جملة وتفصيله، لأنه

(١) البيان: ٢: ٢٦٧ والبيت الذى يتحدث عنه المتنبى هو:

وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جثث القتلى عليها تمام

(٤ - صحيفة دار العلوم)

أخرجه من الغزاة إلى الثوية . وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السباحة في شراء الخمر للضياف بالشجاعة في منازل الأعداء : وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت ، أتبعته بذكر الردى ليجانبه . ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية - قلت : ووجهك وضاح ، لأجمع بين الأضداد في المعنى ، فأعجب سيف الدولة ، ووصله بخمسة دنانير (١)

وكان سيف الدولة يرى فيه شاعر المجد والخلود ، لذلك كان لا يطيق غيابه أيام الحفل ، وفي مواقف البطولة والظفر . روى أنه جلس يوماً لرسول ملك الروم ، ولم يستطع المتنبى أن يصل إليه لشدة الزحام ، فعاتبه سيف الدولة على تأخره ، فقال :

ظلم لذا اليوم وصف قبل رؤيته لا يصدق الوصف حتى يصدق النظر

تراجعت الجيش حتى لم أجد سبياً إلى بساطك . لي سمع ، ولا بصر

فكنت أشهد مختصراً وأغيبه معاني ، وعياني كله خبر

اليوم يرفع ملك الروم ناظره لأن عقولك عنه عنده ظفر (٢)

ولذلك أيضاً سلمه سيف الدولة إلى الرواض فعلموه الفروسية (٣) ،

والطراد (٤) ، والمثاقفة (٥) ، ليشهد وقائعه . ويرى بعينه مبلغ شجاعته وحسن

بلائه في الحروب ، فيصفه من هذه الناحية عن رؤية وعلم ، لا عن سماع

وتخيل . ولعل المتنبى قد أدرك معنى سيف الدولة من ذلك ، وأراد تذكيره به

والإشارة إلى أنه حققه حين يقول في عتابه :

قد ذرته وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت إليه ، والسيوف دم

فكان أحسن خلق الله كلهم وكان أحسن ما في الأحسن الشيم

(١) التيان : ٢ : ٢٧٠

(٢) التيان : ١ : ٢٩٨

(٣) حذق أمر الخيل

(٤) حمل الأفران بعضهم على بعصر

(٥) الملاعبة بالسلاح

ويظهر أن تسليم المتنبى إلى الرواض والمثقفين قد أضر به ، وجادف هوى
فى نفسه ؛ لذلك كان يلذ له بعض الأحيان أن يخرج فى زى الفارس الكمى ،
يتأهب للنزال والطعن .

حكى ابن جنى ، قال : حدثنى أبو على الحسين بن أحمد الصنوبرى ، قال :
خرجت من حلب أريد سيف الدولة ، فلما برزت من السور إذا أنا بفارس
متلثم ، قد هوى نحوى برمح طويل ، وسدده إلى صدرى ، فكدت أطرح نفسى
عن الدابة فرقا . فلما قرب منى ثنى السنان ، وحسر لثامه ، فإذا المتنبى ، وأنشدنى :
نثرنا رؤوسا بالأحيدب منهم كما نثرت فوق العروس الدراهم (١)
ثم قال لى : كيف ترى هذا القول ؟ أحسن هو ؟ فقلت له : ويحك ، قد
قتلتنى يا رجل . قال ابن جنى : فحكيت أنا هذه الحكاية بمدينة السلام لأبى
الطيب ، فعرفها وضحك لها (٢) .

وقد ذكر المتنبى فى شعره أن سيف الدولة علمه استعمال السيف ، واستصحبه
فى بعض الحروب ، فسأهم فى أعمالها ، وصبر معه على شدائدها . قال :

وقد طرقت فتاة الحى مرتديا بصاحب غير عزهاة (٣) ولا غزل
فبات بين تراقينا ندفعه وليس يعلم بالشكوى ولا القبل
ثم اغتدى وبهمن وذعها (٤) أثر على ذؤابته والجفن والحلل (٥)
لا أكسب الذكرا إلا من مضاربه أو من سنان أصم الكعب معتدل
جاد الأمير به لى فى مواهبه فزانها ، وكشأنى الدرغ فى الحلل
ومن على بن عبد الله معرقى بحمله . من كعبد الله ، أو كعلى ؟

(١) البيت للمتنبى من قصيدة فى سيف الدولة ، مطلعها : على قدر أهل العزم تأتي

العزائم ... وتأتى على قدر الكرام المكارم

(٢) أبو الطيب المتنبى وأخباره : ١٤

(٣) لا يطرب للهو .

(٤) أثر طيبها

(٥) الجلود المنقوشة بالذهب وغيرها تغشى بها أغصان السيوف

وقال:

ورعن بنا قلب الفرات كأنما يخر عليه بالرجال سيول
 يطارد فيه موجه كل سايح سواء عليه غمرة ومسيل
 تراه كأن الماء مر بجسمه وأقبل رأس وحدد وثليل (١)
 وفي بطن هنريط وسمين للظبا وصم القنا بمن أبدن بديل
 طلعن عليها طلعة يعرفونها لها غرر ما تنقضى وحجول
 تمل الحصون الشم طول نزالنا فتلقى إلينا أهلها وتزول
 وقال:

وما حمدتك في هول ثبت له حتى بلوتك، والأبطال تمتصع (٢)
 وما كان لمثل هذه الصداقة القوية أن تعمر طويلا بين الأمير وشاعره ،
 دون أن تؤتى نتائجها الحتمية في نفوس من يتأثرون بها ، ويرون من الخير
 ألا يصبروا على بقائها ، فتفشى الحسد والغيط شعراء سيف الدولة ومن إليهم ،
 وسامت ظنون الشاعر بهم ، حتى كان فيما يقال لا يطمئن لغير أبي الفرج البغاء
 من بينهم (٣) . وكان القوم يجهرون بالحسد ، ويجأرون بالشكوى إلى سيف
 الدولة ، أن أنزلهم من منازلهم ، ورفع المتنبي عليهم ، ولكن ذلك لم يغن عنهم
 من الحية والحرمان شيئا .

روى البيهقي أن سيف الدولة كان يميل إلى أبي العباس النامي الشاعر ميلا
 شديدا ، إلى أن جاءه المتنبي ، فقال عنه إليه ، فغاض ذلك أبا العباس . فلما كان
 ذات يوم خلا به وعاتبه ، وقال : الأمير لم يفضل علي ابن عيدان السقاء ؟
 فأمسك سيف الدولة عن جوابه ، فليج وألح وطالبه بالجواب ، فقال : لأنك
 لا تحسن أن تقول كقوله :

يعود من كل فتح غير مفتخر وقد أغد إليه غير محتفل

(١) عنق

(٢) الامتصاع شدة القراع بالسيوف

(٣) الصبح المتنبي : ١ : ٧٣ . بتصرف

فنهض من بين يديه مغضبا (١)، وروى أيضاً أن السرى الرفاء حين قصد سيف الدولة أنشده بديها:

إني رأيتك جالسا في مجلس... قعد الملوك به لديك وقاموا
فكأنك الدهر المحيط لديهم وكأنهم من حولك الأيام
ثم أنشده بعد ذلك ما كان قال فيه من الشعر: وبعد ثلاثة أيام أنشده
المتنبى قصيدة قافية، فأمر له بفرس وجارية، وأول القصيدة:
أيدري الربع أى دم أراقا؟ وأى قلوب هذا الركب شاقا؟
ولما وصل إلى قوله:

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حديق نطاقا
قال السرى: هذا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون، ثم إنه حم في الحال،
وتحامل إلى منزله ومات بعد ثلاثة أيام (٢).

وموعدنا العدد القادم لاتمام الحديث إن شاء الله تعالى.

على النجدي ناصف

(١) المصدر نفسه ٥٨: ١

(٢) المصدر نفسه ٥٦: ١ - ٩٧ باختصار.